الجزء الرابع — (المجلد الرابع)

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة محرم الحرام سنة ١٣١٩ — ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١)

الانتقاد



« من مقالات مولانا الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده »

﴿ ما وعظتك مثل الايام وما قومتك مثل مقاوم ﴾

الانتقاد نفثة من الروح الالهي في صدور البشر تظهر في مناطقهم سوقاً للناقص الى الكمال وتنبيهاً يزعج الكامل عن موقفه الى طلب الغاية مما يليق به . الانتقاد قاصف من اللائمة تتنفس عنه القلوب وتنفتق به الالسنة لتقريع الناقصين في أعمالهم ودفع طلاب الكمال الى منتهى ما يمكن لهم

جعل الله للحياة قواماً وقوام الحياة بالادراك

انما الانسان كون عقليّ سلطانه وجوده العقل فان صلح السلطان ونفذ حكمه صلح ذلك الكون وتم امره . ان الله لم يهمل العقل من ناصرين عزيزين حاذقين احدهما له والثاني له وعليه أما الاول فما قرن الله به من غريزة الميل للافضل ، والاصطفاء للأمثل ، وأما الثاني فما ألزمه

الجزء الرابع — (المجلد الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة محرم الحرام سنة ١٣١٩ — ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١)

الانتقاد



« من مقالات مولانا الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده »

[illegible]

﴿ ما و[illegible] معلوم ﴾

الانتقاد نفثة من الروح الالهيّ في صدور البشر تظهر في مناطقهم سوقاً للناقص الى الكمال وتنبيهاً يزعج الكامل عن موقفه الى طلب الغاية مما يليق به . الانتقاد قاصف من اللائمة تنقبض عنه القلوب وتنفتق به الالسنة لتقريع الناقصين في أعمالهم ودفع طلاب الكمال الى منتهى ما يمكن لهم

جعل الله للحياة قواما وقوام الحياة بالادراك

انما الانسان كون عقليّ سلطان وجوده العقل فان صلح السلطان ونفذ حكمه صلح ذلك الكون وتم امره . ان الله لم يهمل العقل من ناصرين عزيزين حاذقين احدهما له والثاني له وعليه أما الاول فما قرن الله به من غريزة الميل للافضل ، والاصطفاء للأمثل ، وأما الثاني فما ألزمه

الصانع من الانقباض عن الدون ، والنفور عن منازل الهون ، فذاك يحدوه ، وهذا يسوقه ، وذاك يزين له الطلب ، وهذا يزعجه الى الهرب ، وكل منازل العقل صعود الا ادناها فعجز يقف بأهله على شفير العدم ، وكل منزلة بعد الادنى دنوٌ من الكمال ، غير ان ما يسمو اليه العقل ، أشبه بما ينبسط اليه الوجود ، يمتد الى غير نهاية ، ويرتفع دون الوقوف عند غاية ، فليس يصل متنجع الكمال الى مقام الا ويرمى بطرفه الى ابعد منه . ومساقط العجز وبيئة المقام ، كثيرة الآلام ، تتوكرها افاعي الهموم ، وغائلات الغموم ، وقد جعلها الله من وراء العقل كلما التفت اليه راعه هول منظرها فتحفز عنها ، الى منجاة منها ، ولا تزال ترجيه الخوف وتطير به الرغبة حتى يدنو من رفرف السعادة الاعلى .

ولكن كان البصائر الفطرية قد تقف بنا عند مظاهر غرارة ، وظواهر ختارة ، فتخالها طلبتها ، وتحسبها منيتها ، ولا تدرى ان بها هلكتها وفيها منيتها ، فتلها مثل الطير ينظر الى الحب المنثور ويعمى عن الفخ المنصوب فاذا سقط للالتقاط وقع فى يد الحابل أو مثل المفترس يلوح له لائح الفريسة ولا يشعر بما أعد له صائده فاذا وثب عليها اتاه الصائد من مقتله ، وأعجله عن ما كله ،

لهذا وكل الله بالعقل منبهاً لا يغفل ، وحسيباً لا يهمل ، وكالئاً لا ينام يزعج الواقف ، ويحثحث المتريث ، ويمسك الراجف ، ما سكن ساكن الى حال ، ولا قنع قانع بمنال ، الاهتف به ان ماتطلب امامك . ولا أوغل موغل فيما لا ينفعه ، ولا أوضع موضع الى ما يضره ، الاصاح به : تعست الجدود ، وأضرعت الخدود ، فخفض من سيرك ، وقوّم من سيرك والا فالذل مقيلك ،

الصانع من الانقباض عن الدون ، والنفور عن منازل الهون ، فذاك يحدوه ، وهذا يسوقه ، وذاك يزين له الطلب ، وهذا يزعجه الى الهرب ، وكل منازل العقل صعود الا ادناها فعجز يقف بأهله على شفير العدم ، وكل منزلة بعد الادنى دنوٌ من الكمال ، غير ان ما يسمو اليه العقل ، أشبه بما ينبسط اليه الوجود ، يمتد الى غير نهاية ، ويرتفع دون الوقوف عند غاية ، فليس يصل متنجع الكمال الى مقام الا ويرمى بطرفه الى ابعد منه . ومساقط العجز وبيئة المقام ، كثيرة الآلام ، تستوكرها افاعي الهموم ، وغائلات الغموم ، وقد جعلها الله من وراء العقل كلما التفت اليه راعه هول منظرها فتحفز عنها ، الى منجاه منها ، ولا يزال يزعجه الخوف وتطير به الرغبة حتى يدنو من رفرف السعادة الاعلى .

ولكن كلال البصائر البشرية قد تعشو بها عند مظاهر غرارة ، وظواهر ختارة ، فتخالها طلبتها ، وتحسبها منيتها ، ولا تدرى ان بها هلكتها وفيها منيتها ، فمثلها مثل الطير ينظر الى الحب المنثور ويعمى عن الفخ المنصوب فاذا سقط للالتقاط وقع فى يد الحابل أو مثل المفترس يلوح له لائح الفريسة ولا يشعر بما أعد له صائده فاذا وثب عليها اتاه الصائد من مقتله ، وأعجله عن ما كله ،

لهذا وكل الله بالعقل منبهاً لا يغفل ، وحسيباً لا يهمل ، وكالئاً لا ينام يزعج الواقف ، ويحث المتريث ، ويمسك الراجف ، ما سكن ساكن الى حال ، ولا قنع قانع بمنال ، الاهتف به ان ماتطلب امامك . ولا أوغل موغل فيما لا ينعمه ، ولا أوضع موضع الى ما يضره ، الاصاح به : تعست الجدود ، وأضرعت الخدود ، فخفض من سيرك ، وقوم من سيرك والا فالذل مقيلك ،

والحلكة مصيرك . ذلك الواعظ الحكيم والمؤدب العليم هو (الانتقاد) ينبث في الفؤاد ثم يتجلى في البيان ، على أسنة اللسان ، فيفقهه المالمون ، ولا يجهله العاملون ، «فطرة الله التي فطر الناس عليها» أودع في كل ناطق بصراً بشأن غيره أشد احاطة من بصره بشأن نفسه ومكن كلاً من تمييز أحوال الآخر حسنها من قبيحها ، وفاسدها من صحيحها ، ثم دفعه للنطق بما ألهمه ، والقضاء بما أحكمه ، فكان لكل انسان ابصار بعدد الناظرين اليه ، والعارفين بما عليه وماله ، كلها كبصره تريه الخير فيطلبه ، وتكشف له الشر فيجتنبه ، وجعل الله الناقدين اقساماً فمنهم ناظر الى الفضل لا يعدوه فهو يذكر المنقبة ، ويغض عن المثلبة ، ومن هذا القسم المفرطون في الوفاء من الاصدقاء . ومنهم رقباء النقائص وجوالب العيوب يروون المساآت ، ويسكتون عن الحسنات ، وفيهم الحساد ، وأهل الأحقاد ، ومنهم ناظرون بالعينين ، عارفون بالوجهين ، يذكرون الكمال بله ، ويلزمون النقص وبله ، وهؤلاء في أعلى المنازل وفيهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، ومن الناقدين فاسقون يكتمون ما يعرفون ، ويهرفون بما لا يعلمون ، وهم في أخس المنازل . وليس في الناس الا من تجتمع هذه الاقسام له وعليه . وما جعل الله بشراً يسلم منها ويحرم من بعضها فكأنها التي قال فيها «وان منكم الا واردها» وكلها صدى صوت الكمال الالهي الأعلى ينادي الكاملين ان يستزيدوا ، والناقصين ان يستجيدوا ،

هل لجاحد ان يصغر قدر هذا الحسيب على أيّ وجه كان حسابه ؟ أو لجاهل ان ينكر حكمة الله في تقييضه لنا ؟ او لوام ان يذهب الى انه ليس من نظام الفطرة ؟ واني أحيلك على خواطر نفسك اذا بلغك وانت

والحلكة مصيرك . ذلك الواعظ الحكيم والمؤدب العليم هو (الانتقاد) ينبت في الفؤاد ثم يتجلى في البيان ، على أسنة اللسان ، فيفقهه المللون ، ولا يجهله العاملون ، «فطرة الله التي فطر الناس عليها» أودع في كل ناطق بصراً بشأن غيره أشد احاطة من بصره بشأن نفسه ومكن كلاً من تمييز أحوال الآخر حسنها من قبيحها ، وفاسدها من صحيحها ، ثم دفعه للنطق بما ألهمه ، والقضاء بما أحكمه ، فكان لكل انسان ابصار بعدد الناظرين اليه ، والعارفين بما عليه وماله ، كلها كبصره تريه الخير فيطلبه ، وتكشف له الشر فيجتنبه ، وجعل الله الناقدين اقساماً فمنهم ناظر الى الفضل لا يعدوه فهو يذكر المنقبة ، ويغض عن المثلبة ، ومن هذا القسم المفرطون في الوفاء من الاصدقاء . ومنهم رقباء النقائص وطلاب العيوب يرؤون المساآت ، ويسكتون عن الحسنات ، وفيهم الحساد ، واهل الاحقاد ، ومنهم ناظرون بالعينين ، عارفون بالوجهين ، يذكرون الكمال بله ، ويلزمون النقص وبله ، وهؤلاء في أعلى المنازل وفيهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، ومن الناقدين فاسقون يكتمون ما يعرفون ، ويهرفون بما لا يعلمون ، وهم في أخس المنازل . وليس في الناس الا من تجتمع هذه الاقسام له وعليه . وما جعل الله بشراً يسلم منها ويحرم من بعضها فكأنها التي قال فيها «وان منكم الا واردها» وكلها صدى صوت الكمال الالهي الأعلى ينادي الكاملين ان يستزيدوا ، والناقصين ان يستجيدوا ،

هل لجاحد ان يصغر قدر هذا الحسيب على أي وجه كان حسابه ؟ أو لجاهل ان ينكر حكمة الله في تقييضه لنا ؟ او لوائم ان يذهب الى انه ليس من نظام الفطرة ؟ واني أحيلك على خواطر نفسك اذا بلغك وانت

غربي مثلاً ان ملك الصين غدر بأحد أوليائه أو استصفى أموال رعيته او كلفهم ما لا يطيقون احتماله او اهمل في مصلحة بلاده حتى تجرأ عليها اعداؤها او جبن عن دفع حادث ألم به وكان يستطيع دفعه ألا ترى من قلبك امتعاضاً عليه ومن نفسك ازراء بعمله وفى لسانك لهجة بلومه وهو منك على بعد المشرقين ؛ ولئن وصلت اليك روايات عدله ورعايته حقوق بلاده وحفظه لذمامه وجدت اليه من فؤادك ميلاً ومن رأيك لعمله استحساناً ومن لسانك عليه ثناء.

ولو شئت حاكمتك الى مذاهب ميلك عندما تنظر في تاريخ لمن سبقك فان مثل تلك النظرة فضلاً في سيرة أو خزية في جريرة ، ألست تجد من ميلك انبساطاً الى فواصل التعبير وانقباضاً عن مخازن العرر ، ثم انطلاقاً الى نثر ما وجدت من روايات عندما مثلك لاحدهما كأنه قائم يستنصر فأنت تنصره ، وتغيظاً على الآخر كأنما يدعوك لعونه فأنت تخذله ،

لا جرم ان النقد نائرة غريزية تقدح شررها على السابقين واللاحقين وكل نقد فحشوه لوم حتى ما كان منه قاصراً عند بث المحمدة والاقرار بالفضيلة فان حمد الكامل عذل للناقص على التقصير وازعاج للمحمود وزجر له عن ملابسة الاعياء. فكأنى وصاحب الثناء يقول : ألا أيها القاعدون انهضوا ، ويا أيها المبرزون اركضوا ، واحذروا الوقفة فانها بداية القهقرى . تلك اقلام الحق ، في السنة الخلق ، لا يصم عن نداءها الا أصم ، ولا يغبي عن انذارها ألا أبهم ،

على ذلك قام النظام الانساني فلولا الانتقاد ما شب علم عن نشأته ، ولا امتد ملك عن منبته ، أترى لو اغفل العلماء نقد الآراء واهملوا

غربي مثلاً ان ملك الصين غدر بأحد أوليائه أو استصفى أموال رعيته او كلفهم ما لا يطيقون احتماله او اهمل في مصلحة بلاده حتى تجرأ عليها اعداؤها او جبن عن دفع حادث ألم به وكان يستطيع دفعه ألا ترى من قلبك امتعاضاً عليه ومن نفسك ازراء بعمله وفي لسانك لهجة بلومه وهو منك على بعد المشرقين ؛ ولئن وصلت اليك روايات عدله ورعايته حقوق بلاده وحفظه لذمامه وجدت اليه من فؤادك ميلاً ومن رأيك لعمله استحساناً ومن لسانك عليه ثناء.

ولو شئت حاكمتك الى مذاهب ميلك عندما تنظر في تاريخ لمن سبقك فان مثل تلك النظر فضلاً في سيرة أو خزية في جريرة ، ألست تجد من ميلك انبساطاً الى مواطن التهور وانقباضاً عن مخازن العرر ، ثم انطلاقاً الى نشر ما وجدت من عثرات عند منافسه لأحدهما كأنه قائم يستنصر فأنت تنصره ، وتعبطاً على الآخر كأنما يدعوك لعونه فأنت تخذله ،

لا جرم ان النقد نائرة غريزية تقدح شررها على السابقين واللاحقين وكل نقد فحشوه لوم حتى ما كان منه قاصراً عند بث المحمدة والاقرار بالفضيلة فان حمد الكامل عذل للناقص على التقصير وازعاج للمحمود وزجر له عن ملابسة الاعياء ، فكأني وصاحب الثناء يقول : ألا أيها القاعدون انهضوا ، ويا أيها المبرزون اركضوا ، واحذروا الوقفة فانها بداية القهقرى . تلك اقلام الحق ، في السنة الخلق ، لا يصم عن ندائها الا أصم ، ولا يعمى عن انذارها ألا أيهم .

على ذلك قام النظام الانساني فلولا الانتقاد ما شب علم عن نشأته ، ولا امتد ملك عن منبته ، أترى لو اغفل العلماء نقد الآراء واهملوا

البحث فى وجوه المزاعم اكانت تتسع دائرة العلم ، وتجلى الحقائق للفهم ، ويعلم المحق من المبطل ؟ اولو انحمش الاعداء والاولياء عن سياسة السائس ، وتدبير الحاكم ، وهجروا النظر فى قوة الملك ، ولم يقرعوا كل عمل بمقارع النقد ، اكانت تستقيم محجة ، وتعتدل حجة ، او تعظم قوة ؟ كلا بل كان يحكم الغرور ، وتتسلط الغفلة ، ويعود الصواب خطلاً ، والنظام خللاً ، تلك سنة الله فى الاولين ، وهى كذلك فى الآخرين ،

فالمغبوط فى حاله من يستمع قول اللائمين ، ويستطلع خواطر المعترضين ، ويتصفح وجوه المتنكرين ، ذلك روح الحياة فيه يطلب حاجاته ، و تحفظ من آفاته ، وليس فيما يملك الحازمون انفس لديهم ، من الانحاء عليهم ، بما ينبههم اذا غفلوا ، ويعلمهم اذا جهلوا ، ويهديهم اذا ضلوا ، وينعشهم اذا زلوا ، وكما توجد نقائص الاشياء هداة عند الاولياء ، توجد عند الاعداء ، بل هي عند هؤلاء اجود فانهم يرفعون للمعايب اعلاماً بينة حتى لا تعود فيها شبهة لناظر واحجى بالعقل ان لا يعبع من الانتقاد شيئاً حتى اكاذيب اهل الضغينة ، ورجوم ذوي السخيمة ، على مخالفتها للحقيقة . فان اباطيل اللوم تكون للعقل بمنزلة المسالح تقام فى الثغور زمن السلم حذراً مما عساه يطرقها من عدوان المغيرين عليها واقل ما يكون من العاقل فيها ان يقول : قيل فينا ولم نعمل فكيف بنا لو عملنا . فهي ان لم تهده الى مطلب ضل عنه ، ولم ترد اليه فائتاً كان يفلت منه ، فقد تحفظه من السقوط فيما يجعل الكذب صدقاً ، والباطل حقاً ، فمن فسق لسانه ، وخالف بيانه جنانه ، وجاء بغير الحق فى ثلب غيره فقد افسد نفسه لصلاح عدوه ولله ما يقول بعض الصوفية : جزى الله الاعداء عنا كل خير فلولاهم ما نزلنا منازل القرب ، ولا حللنا

البحث فى وجوه المزاعم اكانت تتسع دائرة العلم ، وتجلى الحقائق للفهم ، ويعلم المحق من المبطل ؟ اولو امحض الاعداء والاولياء عن سياسة السائس ، وتدبير الحاكم ، وهجروا النظر فى قوة الملك ، ولم يقرعوا كل عمل بمقارع النقد ، اكانت تستقيم محجة ، وتعتدل حجة ، او تعظم قوة ؟ كلا بل كان يحكم الغرور ، وتتسلط الغفلة ، ويعود الصواب خطلاً ، والنظام خللاً ، تلك سنة الله فى الاولين ، وهى كذلك فى الآخرين ،

فالمغبوط فى حاله من يستمع قول اللائمين ، ويستطلع خواطر المعترضين ، ويتصفح وجوه المتنكرين ، ذلك روح الحياة فيه يطلب حاجاته ، ويتحفظ من آفاته ، وليس فيما يملك الحازمون اخلص لديهم ، من الانحاء عليهم ، بما ينبههم اذا غفلوا ، ويعلمهم اذا جهلوا ، ويهديهم اذا ضلوا ، وينعشهم اذا زلوا ، وكما توجد نقائص الارشاد هذه عند الاولياء ، توجد عند الاعداء ، بل هي عند هؤلاء اجود فانهم يرفعون للمعايب اعلاماً بينة حتى لاتعود فيها شبهة لناظر واحجى بالعقل ان لايعج من الانتقاد شيئاً حتى اكاذيب اهل الضغينة ، ورجوم ذوي السخيمة ، على مخالفتها للحقيقة . فان اباطيل اللوم تكون للعقل بمنزلة المسالح تقام فى الثغور زمن السلم حذراً مما عساه يطرقها من عدوان المغيرين عليها واقل ما يكون من العاقل فيها ان يقول : قيل فينا ولم نعمل فكيف بنا لو عملنا . فهي ان لم تهده الى مطلب ضل عنه ، ولم ترد اليه فائتاً كان يفلت منه ، فقد تحفظه من السقوط فيما يجعل الكذب صدقاً ، والباطل حقاً ، فمن فسق لسانه ، وخالف بيانه جنانه ، وجاء يغير الحق فى ثلب غيره فقد افسد نفسه لصلاح عدوه ولله ما يقول بعض الصوفية : جزى الله الاعداء عنا كل خير فلولاهم ما نزلنا منازل القرب ، ولا حللنا

حظائر القدس . هذا وقد كفر قوم نعمة الانتقاد فظنوا صنع الله فيه عبثاً «نعوذ بالله» فوقروا عنه آذانهم ، وعطلوا من ناحيته سمعهم ، وجعلوا اصابعهم فى صمائخهم(1) من صواعق زجره ، وقواصف نهيه وامره ، وضربوا بينهم وبين اهل النقد حجباً ، واقاموا دونهم استاراً ، وخيل لهم الجهل ان صممهم عنه ، يقيهم منه ، وان قبوعهم فى أُهُب الغفلة(2) يدرأ عنهم سهام اللوائم كأنهم لا يعلمون ان ذلك وقوع فى اشد مما خافوا ، واندفاع الى شر مما رهبوا ، فمثلهم كمثل بعض الطيور اذا رأى الصائد غمس رأسه فى الماء ظناً منه انه متى اغمض عن طالبه اغمض الطالب عنه فيكون بذلك قد يسر للصائد صيده ، وسهل عليه كيده ، ومن ثم تجدهم فى كل شأن من شؤونهم وتخبط فى اعمالهم قد لزموا خطة من الدون لو انحسر عنهم بعض اطرافها لماتوا جزعاً من هول مافيها . كل ذلك والدلائل لا تنى وألسنة الاقلام لا تألوا فى تقريعهم بل وصوت الحق الصريح يناديهم من اعماق ضمائرهم بئس ما اشتريتم لانفسكم لو كنتم تعلمون . وليهم عاتب ، وعدوهم عائب ، وهم فى غفلة من هذا بل لا يشعرون

اولئك الذين ختم الله على سمعهم وطبع على قلوبهم فمرقوا من ناموس الفطرة الالهية فهم اموات الارواح ، مضطربوا الاشباح ، ولا تنشق عنهم قبور الخمول حتى يبعثهم الله فى حياة اخرى يخضعون فيها للاحكام الكونية ويعملون على السنن الالهية ، فلينتظروا انا معهم من المنتظرين



(1) الصمائخ ج صماخ وصموخ وهو داخل خرق الاذن ويطلق على وسخها (2) الاهب بضمتين جمع أهاب ككتاب وهو الجلد الذى لم يدبغ او أعم

حظائر القدس . هذا وقد كفر قوم نعمة الاتقاد فظنوا صنع الله فيه عبثاً «نعوذ بالله» فوقروا عنه آذانهم ، وعطلوا من ناحيته سمعهم ، وجعلوا اصابعهم فى صمائخهم[1] من صواعق زجره ، وقواصف نهيه وامره ، وضربوا بينهم وبين اهل النقد حجباً ، واقاموا دونهم استاراً ، وخيل لهم الجهل ان صممهم عنه ، يقيهم منه ، وان قبوعهم فى أُهب الغفلة[2] يدرأ عنهم سهام اللوائم كأنهم لا يعلمون ان ذلك وقوع فى اشد مما خافوا ، واندفاع الى شر مما رهبوا ، فمثلهم كمثل بعض الطيور اذا رأى الصائد غمس رأسه فى الماء ظناً منه انه متى اغمض عن طالبه اغمض الطالب عنه فيكون بذلك قد يسر للصائد صيده ، وسهل عليه كيده ، ومن ثم نجدهم فى كل شأن من شؤونهم وتخبط فى اعمالهم قد لزموا خطة من الهون لو ابصروا عاقبة بعض اطرافها لماتوا جزعاً من هول ما فيها . كل خلقة وضلالة لا تحسن وصفه الاقلام لا تألوا فى تقريعهم بل وصوت الحق الصريح يناديهم من عمائق ضمائرهم بئس ما اشتريتم لانفسكم لو كنتم تعلمون . وليهم عاتب ، وعدوهم عائب ، وهم فى غفلة من هذا بل لا يشعرون

اولئك الذين ختم الله على سمعهم وطبع على قلوبهم فرقوا من ناموس الفطرة الالهية فهم اموات الارواح ، مضطربوا الاشباح ، ولا تنشق عنهم قبور الخمول حتى يحشرهم الله فى حياة اخرى يخضعون فيها للأحكام الكونية ويعملون على السنن الالهية ، فلينتظروا انا معهم من المنتظرين



(١) الصمائخ ج صماخ وصموخ وهو داخل خرق الاذن ويطلق على وسخها (٢) الاهب بضمتين جمع أهاب ككتاب وهو الجلد الذى لم يدبغ لو أعم

القسم الديني

﴿ الطلاق فى الاسلام ﴾ (١)

ان اباحة تفارق الزوجين هى نقطة متوسطة بين التغالى فى الاطلاق الموجودة فى الزنا الذى هو صحبة ساعة وبين التغالي فى القيد الذى هو التزام عدم انفكاك الاقتران مدى العمر وحد وسط بين طرفي الافراط والتفريط كما هو مشرب المنهج الاسلامي فى كل الامور. وفيه تسهيل للزواج والمناكحات الرادعة عن الالتجاء للزنا اذ يستصعب الزواج اذا لم يمكن الفراق. واننا لاننكر ما فى التفارق من المضار التى ربما تحدث عنه ولكنها لا ترجح عما فيه من المنافع [illegible] عند الموازنة الصحيحة. ولا يخفى ان ما تساوى طرفاه نفعاً وضرراً فالشأن فيه الاباحة التى هى الاصل فى كل امر وجانب الاطلاق مرجح عن جانب القيد اذا تساويا

هذا وان الطلاق كذلك اذا لم يكن لعذر أو إلجاء ضرورة فليس بمباح تماماً كسائر المباحات فى الشرع الاسلامى بل هو من قسم المكروهات التى لا يستحسنها الشرع الاسلامى. ويعتبر الطلاق شأن السفهاء لان الشرع الاسلامى ينهى عن الجفاء بكل أنواعه. ويحث على الشفقة والانصاف والمروءة وحفظ الوداد والعهد. وانما الطلاق لابأس به اذا لم يمس بشيء من هذه المذكورات اى اذا لم يكن فيه مخالفة للانصاف والمروءة الخ.. فلا يكون الطلاق حينئذ الاكناية عن فرج ومخرج من ضنك المعيشة التى ربما تحدث بين الزوجين ولا مناص عنه الا بافتراقهما واستغناء كل

(١) المقالة لأحد علماء حلب وجاءت فى رسالة مكاتب المؤيد فى الاستانة العلية

منهما عن الآخر او استعواضه من هو خير له منه اذ ربما يبقيان على كره منهما أو احدهما فيكون نكد العيش الدائم لولا الطلاق

أرى اذا كان الرجل عنيناً والمرأة شابة حسناء وصار هو يحب الانفراد والانزواء وصارت هي تميل لاتيان ماتأتي النساء ولم يكن لاحدهما حاجة بالآخر فعلام تلزمهما بالتزام مالايلزمهما من الحجر الدائم عن مبتغاهما؟ أرأيت اذا تباغضا لاسباب ما فعلام تلزم كلا منهما بالتزام صحبة بغيضه مدى عمره؟ أرأيت اذا علم الرجل أن امرأته زانية وأراد ان يفارقها بدون ان يفضحها ويثبت عليها مايخل بشرفها . أرأيت اذا عجز عن اثبات ما علمه من آيانها الزنا فكيف نجبره على هذا الضيم . ولقد رأينا كثيراً في بلادنا ممن يتدينون بتحريم المفارقة بدون ثبوت الزنا يعلمون الزنا من نسائهم ولا يقدرون على اثبات ما علموه فيكتمون على هذا الضيم مدى عمرهم كاظمين غيظهم بالرغم عنهم . فلمثل هذه الحكم اباحة الطلاق لا لأجل محض الشهوة ولذلك لاترى من أهل الاسلام المتربين على فضائل الاخلاق الاسلامية من يطلق زوجته لغير عذر مقبول من مثل هذه الاعذار . فان قيل: «فعلى هذا ينبغي ان يكون ابطال عقد الزواج متوقفاً على رضى كل من الطرفين معاً كسائر العقود . أو بيد كل منهما فأيهما لم يطب عيشه لدى صاحبه يفارقه لا ان يكون الرجل هو المالك لذلك دون المرأة » فنقول ليست اصول تفارق الزوجين في نظام الاسلام كما يتوهمه الغالط بل ان تفارق الزوجين اما ان يكون بابطال عقد الزوجية وفسخ المقاولة بحيث يرد كل منهما ماتملكه بالعقد فتسترد المرأة ماملكته للرجل من اباحة نفسها له دوماً واختصاصه بها ويسترد الرجل ما جعل لها من المال بمقابلة هذه الاباحة

الدائمة كله أو بعضه بحسب مايتراضيان عليه حين التفاسخ . فهذا التفارق بالتفاسخ يتوقف على رضاء الطرفين كسائر العقود ويسمى هذا النوع بالخلع أو المخالعة . واما ان يكون تفارق الزوجين على صورة الطلاق وهى أن يترك الرجل حق استباحته الدائمة للمرأة مع استكمال المرأة كل ماعجل وشرط لها من المال والنقد . فهذا أمر موكول للزوج الا اذا شرط فى أصل عقد الزواج بينهما أن يكون للمرأة ايضاً حق تطليق نفسها من الزوج فيراعى هذا الشرط وحينئذ متى شاءت طلقت نفسها واستردت تمليك بضعها الدائم لزوجها بدون ان يستردهو شيئاً أو ان يمتنع عن تأدية ماشرط لها حين العقد . وبذلك تعلم ان اصول المفارقة بين الزوجين منظور فيها لصورة اصل عقد الازدواج وصورة نقضه وانفكاكه . وان ما شرط فى أصل العقد مرعي وليس للزوج الا ان يحافظ على الشرط وانه اذا لم يشترط فى العقد شيء كان أمر الطلاق بيده دونها وحيث كان هذا أمراً معلوماً مشهوراً بين سائر أفراد الملة الاسلامية فيمكن لكل امرأة أن تشترط فى زواجها ان يكون أمر طلاقها بيدها فتساوى الرجل فى هذا الاستحقاق وانما كان أكثر النساء لا يشترطن ذلك لعدم الثقة منهن أن يتثبتن كتثبت الرجال على محافظة نظام الزوجية لانهن بمقتضى تركيبهن الطبيعى اقل احتمالاً وتصبراً واشد خفة وطيشاً من الرجال واسرع تأثراً بالغضب لرقة بشرتهن ونقاوة عصبهن وكثيراً ما يستفزهن الغضب من سبب جزئى لايقاع الطلاق بدون استيجاب السبب له فيوقعن الطلاق فى حال استيلاء الحدة عليهن ثم يندمن على مافرط منهن فلو اشترط الطلاق لهن دائماً لنشأ وقوعه وكثر توقعه مع ان كثرة وقوعه بغير السبب الداعى يستوجب الندامة وكثرة

توقعه مخل بانتظام الراحة والتآم الالفة الروحية . وهو متوقع من جانبهن أكثر من توقعه من جانب الرجال

ولذلك كانت الارجحية للرجل على المرأة فى الطلاق بأن الاصل فيه أن يكون بيده دونها اذا جرى العقد على غير اشتراط شيء وللمرأة ما يقابل هذه الرجحانية التى للرجل وهي كون المهر الذى هو كالثمن يلزم من جانبه لها لا من جانبها له . وكذلك كل ما يقضى لها من النفقة أسوة أمثالها والمصارف البيتية عائدة عليه دون ان تكلف هى بأدنى شيء حتى ان لها عليه ان يقدم لها الطعام مطبوخاً مهيئاً بدون ان تتكلف بطبخه . وليس له ان يكلفها بشيء من الخدم الشاقة أو السافلة مع انه مكلف بتكبد المشاق فى سبيل الكسب لاجل النفقة عليها الا ان سامحته ببعض نفقتها أو سايرته بالتزام ما لا يلزمها من بعض خدمته . وعليه كل نفقة ما يولد لهما من الاولاد حتى ليس له ان يجبرها على ارضاع ولدها . بل عليه ان يستأجر له مرضعاً غيرها اذا امتنعت هى عن ارضاعه .

ولا يخفى أن الارجحية التى أعطيت للمرأة هى الانسب بضعفها والارجحية التى أعطيت للرجال هى الانسب بقوة تثبتهم لا سيما وانه قد دفع المهر الأول ثم يلزمه عند المفارقة دفع المهر المؤخر فقل أن يسمح الرجل بتضييع هذه الاموال التى يدفعها فى المهر الاول والمهر الثانى بدون سبب ملجيء وداع قويّ . وحيث كان الاصل فى نظام الزوجية ان يدفع الرجل للمرأة ما يرضيها من المهر اسوة امثالها وان يشترط لها عند المفارقة مهراً ثانياً كان الاصل فى المفارقة التي تقتضى خسارته فى هذه الاموال دونها ان تكون موكولة اليه ولا يخفى على المنصف المتبصر مناسبة

الاصلين في الجانبين وبلائمهما بحال الطرفين فلا يقال لماذا لم يكن الاصل في الزواج ان يكون المهر من المرأة والرجعية لها في أمر المفارقة او ان يكون بدون مهر ولا رجعية لاحدهما على الآخر في شأن الطلاق . بل أيّ منهما اراد الطلاق اوقعه لان المرأة اذا ملكت امر الطلاق كذلك اكثرت ايقاعه رغماً عن الزوج وليس كذلك الرجل ولذلك لا تكاد ترى من يطلق زوجته الا بعد نفورها وطلبها الطلاق او تسببها له كما ان الرجل بحسب ما فيه من زيادة الاستعداد الطبيعي للكسب ينبغي ان يكون هو المميل للمرأة فلذلك كان عليه المهر والنفقة .

ثم قد يكون الانسب بحال الطرفين بالنسبة لبعض الافراد مخالفة هذا الاصل وحينئذ يمكن اجراء على خلافه بواسطة الاشتراط وانما كان هذا الاصل بالنظر لما هو الاصلح بالنسبة لحال الاكثر ثم ان من لم تشترط الطلاق لنفسها ولا يمكنها مفارقة زوجها من امرها اذا ظلمها حقها بعدم ايفاء ما يترتب عليه لها او كلفها فوق ما يترتب له عليها ترفع امرها للحاكم فينهى الزوج فان لم ينته يجبره على طلاقها او يفرق بينهما مع تغريم الرجل كل ما اعطاه وشرطه لها حين العقد . فيكون حكمها كحكم من اشترطت الطلاق لنفسها فلا تمكين الرجل من ظلم المرأة ولا المرأة من ظلم الرجل ولا يجبران على ضيم بكل حال . ثم انهما معها تفارقا فلهما ان يتلافيا ما فرط منهما ويتراجعا اه . بالحرف

(المنار) نشرنا المقالة بحروفها على مافيها من الخطأ اللغوي لما هي عليه من الصواب والسداد في المعنى والابانة عن محاسن الحنيفية السمحة فقد دركاتبها الفاضل . وقد كنا نتذاكر في مسألة الطلاق مع صاحب الدولة

رياض باشافقال : زادعلينا الافرنج المتقدمون فى التوسع بالطلاق حتى قرروا اخيراً ان يستقل به كل من الرجل والمرأة بعد ما كان مشروطاً عندهم باتفاقهما

الفقه الاسلامي

كتب بعض الشيوخ من اهل العلم الواقفين على احوال العصر المتألمين من تأخر المسلمين وضعفهم مكتوباً مطولاً الى صديق له فى القاهرة ينتقد فيه كتب العلم الاسلامية كلها ويبرأ الدين من الفنون المنسوبة اليه كالكلام واصول الفقه وفروعه ويقول انها كلها علوم ضارة ذهبت ببساطة الدين وسهولته وشغلت عن علوم الدنيا التى تعطى اصحابها القوة والعزة فكتب اليه صديقه وهو من الكتاب الفضلاء الباحثين فى الشؤون الاسلامية مكتوباً رد فيه بعض ما جاء فى المكتوب وسلم بالبعض فاحببنا ان يطلع علماؤنا لا سيما اهل الازهر الشريف على بعض ما يدور بين نبهاء المسلمين من البحث ليعلموا بالاجمال ان صراخنا ونداءنا اياهم طالبين اصلاح كتب التعليم وطريقته فى غاية الاعتدال فاخترنا الجواب لان صاحبه لم يغل فيه غلوّ الاول فى الانكار وان كان لا يخلو مما ينكره عليه الفقهاء وها هو بحروفه :

كتابك ايها الفاضل ينبيء عن توغل الفكر فى مرامي بعيدة مدى الغاية وما استخرجه من الحقائق من خبايا التاريخ امور يوافقك على بعضها اخوك وبعضها نظريات تحتاج الى دقيق تأمل ويضيق عن الالمام باطراف المناقشة فيها هذا الكتاب فأرى ارجاءها الى فرصة الاجتماع اذا تيسر اولى

وانما هناك مسئلة أحب ان لا يفوتنى الآن النظر فيها رغبة فى تعديل ما فى نفسك من جهتها وإشفاقاً لك على فكري الصراح فيها عسانا نجمع

طرفي الرأي الى دائرة واحدة تتلاقى فيها عند نقطة الحقيقة التي لا خلاف فيها

ذهبت الى ان علم الفروع انما هو مجموع قوانين وضعها البلخية والكرخية الخ من سميت وان هذه القوانين ليست من علوم الدين وربما حملها على محمل ما سردت من العلوم التى رأيتها غير موافقة لحالة الزمان والمكان وأرى فى هذا مغالاة فى الفكر فيها نظر يظهر لك ظهوراً جلياً فيما يلي

انا اعتقد وانت تعتقد انه لابد لكل امة قذفت بنفسها فى مضمار الحضارة من قانون جامع لجزئيات الحوادث تحفظ به نظامها وتمهد سبيل الترقى لمجتمعها والاسلام وان جاء بما سمى ما تتطلبه الحاجة المدنية والحياة الاجتماعية الا انما جاء به انما هو قواعد كلية وليس من شأنه وشأن الاديان عامة ان تحيط بالجزئيات التى لا تتناهى فى جانب الترقى والاتساع وانما كانت الاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل من الامة فى وضعها عند الحاجة وارجاعها الى تلك القواعد والاصول على طرق معروفة اصطلح عليها علماء الاصول من المسلمين وقد فعل علماؤنا ما يجب عليهم من هذا القبيل واحاطوا بكثير من الجزئيات التى دعت اليها حاجة كل عصر الا ما فاتهم منها من تحديد بعض العقوبات وترتيب المحاكمات والتفريق بين الحقوق العمومية والحقوق الشخصية تفريقاً يتعين معه الاختصاص بالدعاوى العمومية التى كان القضاة خصماً وحكماً فيها فى آن واحد ولهذا اسباب كثيرة لا يسهل بيانها الا بعد معاناة صعوبة الاستقصاء وليس هذا محله

هذا والحق أولى ان يقال ويتبع ومثلك اتبها الصديق من انقاد للحق

وظاهر اهله فان علماءنا برعوا في علم الحقوق الى حد جعل هذا العلم عند المسلمين يكاد لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الجزئيات الا احصاها الا انه مشوش بكثرة مااختلفوا فيه حتى في المسألة الواحدة ومنشأ هذا على ما أرى انفراد الآحاد بالتشريع (١) حتى من المخرجين والمرجحين بحيث يجوز الواحد منهم ما يمنعه الآخر وبالعكس وسببه التساهل من المسلمين في ترك سلطة التشريع فوضى يتناولها من شاء ومن ليس بمعصوم من الافراد وهي السلطة العظيمة التي لم تسلمها امة متمدنة قبل المسلمين للآحاد منفردين قط وانما كانت تسلم الى ثقات كل أمة مجتمعين لا منفردين

لو فهم المسلمون منذ استفحل أمرهم وعظمت القوانين الجامعة لفروع الحوادث [illegible] الاجماع وان من قواعد دينهم الكلية التكافل العام على مصالحهم العامة وان كل مصالحهم في الحقيقة انما هي مرتبطة بأس المصالح وحياة الوجود ألا وهو القانون الكافل لراحة الجميع وسعادتهم لاستفادوا من هذا الى الآن فوائد لا يستقصيها العقل ولما تركوا امر القوانين فوضى لا يعتمد فيه الا على قال فلان وأفتى بخلافه فلان بل لكانوا عهدوا بتشريع الاحكام واستنباطها الى جماعات من اهل الفضل والاجتهاد ينوبون عنهم عند مسيس الحاجة في تطبيق الاحكام على الحوادث في كل زمان ومكان

ولكن لما لم يفهموا هذه القاعدة واغفلوا العناية والنظر بامر القوانين هل يجوز تركهم هملاً ؟ كلا لا يجوز اذن فوضع الائمة والعلماء لعلم الفروع الذي ذهبت اليه انه مجموع قوانين وضعها فلان وفلان لازم وهم المتفضلون

(١) حيثما جاء التشريع هنا فالمراد به التفريع فاحترس

ودهماء المسلمين هم الملومون

ولا يخفى على فهمك ان تسليم سلطة التشريع لجمع لا لآحاد ليس فيه من حرج او مانع يمنعه من الدين والذى سوغ للفرد ان يضع او يستنبط ماشاء من الاحكام التي تمس اليها الحاجة يسوغ للجمع كذلك وهو الاحوط ايضاً فى الدين والدنيا والفرق بين ما يضعه الواحد وبين ما يضعه الجمع عظيم جداً لا يخفى على بصير اذ ان ما يشعر به الواحد فى نفسه من الحاجة او يبلغه من العلم قد يشعر الآخر بخلافه او يحيط بما لا يحيط به ذاك ولا تمحص حقيقة الحاجة العامة الا باشتراك جماعة عظيمة بمثل هذا الشعور واحتكاك الافكار بطول التجارب لهذا ولكى يعلمنا الله سبحانه وتعالى فائدة تبادل الفكر واصول الشورى خصوصاً فى المصالح العامة امر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باستشارة الصحابة بقوله تعالى (وشاورهم فى الامر) اى فى الشأن وهذا امر والاصل فيه الوجوب كما قرره الاصوليون ويتلو هذا فى مرتبة التعليم حديث التأبير المشهور وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبروا فانتم ادرى بامر دنياكم)

من هذا نعلم الفرق بين ما تمحصه العقول من الامور ذات الشأن فلا تصدر الا عن علم الجميع بمصلحتهم عامة وعلم كل فرد بمصلحته المستمدة من تلك خاصة فما بالك به فى التشريع خصوصاً وان الاجماع فيه يدعو الى ارتباط الاحكام برباط الاتفاق عليها من جمهور المتشرعين والعمل بها عند سائر الناس ويندفع بهذا خطر الفوضى القانونية التى يتخبط فيها المسلمون منذ اجيال كثيرة لكثرة الخلاف بين الائمة والمخرجين من علماء كل مذهب على مسائل المعاملات فضلاً عن العبادات وما اراني الا معترفاً لك بان

هذا الخلاف الذى شوش نظام المعاملات بين الامة يكاد يجعل علم الفروع فى المرتبة التي ذكرت وباضطراب اعتقادك بفوائدها نوهت

واما ما قلته من ان علم الفروع ليس من علوم الدين وانما هو مجموع قوانين وضعها المتقدمون فليس ذلك كذلك بل رأيي فيه انه من علوم الدين باعتبار انه مستند الى أصول عامة فى الدين وانه قانون باعتبار انه داخل تحت حكم الرأي والقياس والاجتهاد او هو نتيجة تطبيق الاحكام على حوادث حدثت بعد المسلمين وروعيت فى وضعها اصول الدين

والذى اراه ان اطلاق علم الدين على الفروع لازم من لوازم البقاء والاستمرار لاحكام الاسلام وباعث على احترام هذا العلم احتراماً ينفع المسلمين كما ينفع كل امة تحترم الشرائع والقوانين واذا حملته على محمل ماذكرت من العلوم من حيث كونها قواعد خيرة موافقة حالة الزمان والمكان فيكفى فى تعديل فكرك من هذا القبيل امعان نظرك فيما سبق بسطه لديك لتعلم وانت اعلم به منى ان مسوغ الاجتهاد الذى هو تشريع فى الفروع ميسور لكل عالم من علماء الشريعة بلغ مرتبة الكفاءة غير محظور عليهم فى عصر من العصور ومنه يتضح لديك تيسر جمل الفروع موافقة لحالة كل زمان ومكان اذا نهض اهل العلم والفضل للنظر فى هذا الامر وشرعوا بوضع كتب خاصة باحكام المعاملات يتفق على اعتبارها دستوراً للعمل جمهور اهل المذاهب وهذا وان كان يتوقف على ما يسمونه التلفيق الا انه لا يمنع من التوفيق لان التلفيق جائز عند فقهائنا فى العبادات فما بالك به فى المعاملات

لا جرم ان علماءنا فى هذا بين امرين كلاهما لا يمنع من تحرير علم

الفروع وجعله صالحاً لحالة الزمان والمكان وذلك انهم اما ان يعتبروا ان كل ما حرره الائمة وقرروه هو من الدين الذى هو حق لا ريب فيه فيلزمهم فى هذه الحال التسليم بما حرره جميعهم من الاحكام ويلزم من هذا جواز انتقاء الاحكام الموافقة لحالة العصر من كتب المذاهب وتدوينها فى كتاب خاص ليس فيه ادنى شائبة من مثارات الخلاف ليكون أشبه بقانون عام شامل لسائر حاجات الاجتماع يعمل به المسلمون على اختلاف مذاهبهم . واما ان لا يعتبروا ما حرره الائمة من الدين بل يعتبرونه رأياً أداهم اليه الاجتهاد وان هذا هو علة اختلافهم فى الاحكام منعاً وايجاباً بحيث يجوز الواحد ما يمنعه الآخر وفى هذه الحال يجوز لهم الاجتهاد كما جاز لغيرهم فيتفق جميعهم على جعل علم الفروع علماً نافعاً فى العصر مراعى فيه جانب الحاجة مضافاً اليه ما فات المتقدمين من التوسع فى مراعي اخرى أصبح التوسع فيها الآن من ضروريات الحياة الاجتماعية وعليها بنى ترقى الحكومات والامم الغربية ترقياً لم تكن تحلم به الامم من قبل لا سيما وان الذى جوز للسلف التوسع فى الامور السياسية عند ما مست الحاجة اليها حتى وضعوا لها كتباً خاصة مستندة الى اصول الشريعة كالاحكام السلطانية والخراج وغيرها يجوّز للخلف التوسع فيما تمس اليه الحاجة الآن وتقتضى التوسع فيه حالة الزمان

على ان الشعور بالحاجة الى اصلاح امر القوانين الاجتماعية عند المسلمين قد دب فى العقلاء دبيب البرء فى الاطراف ولابد ان يعم سائر الجسم فنرجو الله سبحانه وتعالى ان ينبه علماءنا الكرام الى تلافى امر هذه الحاجة صوناً لعلم الفروع من ان يهجر وحرصاً على علوم الشريعة من ان

تصبح العناية بها اقل من العناية بالقوانين الوضعية التي الجأت الحاجة بعض الحكومات الاسلامية الى استعمالها دون القوانين الاسلامية وراها بعضهم أجمع لحاجات الاجتماع وهي وان لم تكن كذلك ألبتة الا انها بسلامتها من مثارات الاختلاف وتقيد الحاكم والمحكوم بقيود خاصة منها لا تترك مجالاً للرأي ومكاناً للقيل والقال قد جملت الرغبة اليها اميل والطريق الى انتظام الشؤون العامة بها اسد

هذا فكري في النقطة التي اخترت ان اتجاذب واياك اطراف البحث فيها الآن وقد رأيت ما احتاج اليه النظر فيها من التطويل الممل فلو تناول البحث سائر ما في كتابك لاحتاج ذلك الى كتاب كبير فالله نسأل ان يوفقنا واياك لخدمة الامة والدين ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم امين

(المنار) ان كثرة الخلاف في الفقه والاضطراب في التصحيح والترجيح المؤدي الى الاختلاف في الفتوى والقضاء وما في هذا من الضرر واختلال المصالح ثم ما في كتب الفقه من الصعوبة في الترتيب والتبويب كل ذلك اشعر المسلمين من زمن بعيد الى الحاجة الى اصلاح كتب الفقه ووضع كتاب او كتب في الاقوال السديدة التي تنطبق على مصلحة الامة في هذا العصر على وجه قريب التناول سهل الفهم . ثم قوى الفكر في الاصلاح حتى انتهى الى القول بأن كتب الفقه التي بين ايدينا مضرة وان اكثر ما فيها من مخترعات عقول الناس الذين اكثرهم من الاعاجم كما جاء في كتاب الشيخ المردود عليه بهذا الجواب

واكثر المتدينين في الشرق والغرب على الوجه الاول وقد كتب الينا بعض الفضلاء في الجزائر من مدة بما يأتي :

«رأيت مقالة تناسب مشرب مجلتكم المفيدة فاحببت ان ابعث بها اليكم لتدرجوها فيها ان شئتم بعد تمهيد ترتبط به

في الجزء الثاني صفحة ٢٤ من رحلة العلامة الشهير المرحوم الشيخ ابي سالم عبدالله العياشي المسماة بماء الموائد المطبوعة في حاضرة فاس اواسط جمادى الثانية عام ١٣١٦ ما نصه »:

«اني كنت اود لو ان الله قيض لهذه الامة من يجمع اربعة من محققي علماء كل مذهب من هذه المذاهب الاربعة الموجودة ويختار لكل واحد جماعة من اهل مذهبه يستعين بهم في المطالعة وتحقيق ما يشكل عليه من فروع الديانات فيأمر الاربعة بالاجتماع في محل واحد في وقت مخصوص من ليل اونهار بقصد تأليف ديوان في فروع الفقه ويتخذ لهم كتاباً مهرة يستعينون بهم ويجري على الجميع من الجرايات ما يكون سبباً لفراغ بالهم لما هم بصدده وبعد مراجعة كل واحد منهم مع اصحابه ما يحتاج اليه من كتب مذهبه في المحل الذي يؤلفون فيه يجتمعون فيتتبعون فروع الديانات الجزئيات من اول مسألة مدونة في الفقه على قدر طاقتهم الى آخرها فيذكر كل واحد مشهور مذهبه في كل نازلة فاذا علموا مشهور المذاهب في كل مسألة مسألة نظر من تصدى للكتابة والتأليف عندهم الى المسائل المتفق عليها بينهم فاثبتها ولا يحكي شيئاً من الخلاف فيها ثم المسائل المختلف فيها يقتصر فيها على قول ثلاثة منهم ان اجتمعوا ويحذف قول الرابع ثم ان قال اثنان بقول واثنان بقول جعلها ذات قولين مشهورين ثم ان تباينت آراؤهم في النازلة وهو قليل حكاها بلا تشهير وتكون مسألة خلاف ويقدم ما كان منها مستنداً الى كتاب ثم ما استند الى سنة ثم ما استند الى اثر صحابي قوي

ثم ما اخذ من الاجتهاد فاذا الف الديوان على هـذا الوصف وحمل الناس على اتباعه كان اقرب لضبط الانتشار الواقع الآن وكثرة الخلاف الواقع بين اهل المذاهب والتعصبات الناحشة المؤدية الى تضليل بعضهم بعضاً اه ملخ

انتهى ما تعلق بنقله الغرض بنصه وفصه كمال الدين المرغناني

من الجزائر في ٢٣ من شوال سنة ١٣١٨

(المنار) اما رأينا في الفقه فيوافق لما جاء في المحاورة بين المصلح والمقلد وقد ضاق عنها هذا الجزء وما قبله وسننشر في الجزء الآتي ان شاء الله



﴿ القسم الثاني من الامالي الدينية في النبوات ﴾



الدرس ١٩ — الحاجة الى الوحي والنبوة

بينا وجه حاجة الانسان الى الوحي لسعادته في الحياة الدنيا من حيث انه نوع اجتماعي اودع في طبيعة افراده من الرغائب والحظوظ ما يقتضي التباين والتنازع كما اودع فيها من حب الاجتماع والعجز عن تحصيل معظم ما تطالبها به الفطرة ما يدعو الى التعاون ، الذي يعارضه التخالف والتغابن . ولا يتم للنوع ارتقاؤه بل ولا بقاؤه مع هذه الغرائز المتعارضة فمن ثم كان محتاجاً الى ارشاد يوفق بين آثار هـذه الغرائز وعوارضها ، بما يذهب بتعارضها ، ويعرف كل فرد من الافراد حده ، ويجعل له من نفسه وازعاً يوقفه عنده ، ولم تكمل له هذه الحاجة الا بالدين . وورد على هذا القول ثلاث شبهات (احداها) ان الانسان لا يترقى الا بالكون وما يعرض عليه من شؤنه واطواره فالذي تثبت له الوقائع الكونية انه ضار يرغب عنه ويجتنبه ، والذي تثبت له انه نافع يرغب فيه ويجتلبه ، ولذلك لم تكتف الامم الشعوب

بهدي الاديان ، الا بمقدار ما اعدتها له الاكوان ، وقد اجبنا عن هذه الشبهة في الدروس السابق من غير ان نقررها ، ولم يكن الجواب ناقضاً لمسئلة الاستعداد فقد ورد ان الانبياء امروا ان يخاطبوا الناس على قدر عقولهم وما منح الله تعالى الانسان الدين الا بعد ما ارتقى استعداده لفهمه «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » الخ

وقد ارتقى هدي الدين وارشاده بارتقاء الانسان حتى كمل بالاسلام على ما بينه استاذنا الاكبر في رسالته وسيرتقي اهله وهم العالم الانساني كله (بالنسبة الى الدعوة) حتى يفهموه حق فهمه وذلك بعد ما ترتقي علوم الفطرة والطبيعة اكمل ارتقاء كما قال تعالى «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق»

(الشبهة الثانية) هي : ان الحكماء والعقلاء يمكنهم ان يضعوا للناس قوانين وحدوداً تغنيهم عن الوحي والشرائع السماوية . والجواب عنها انه اذا فرض ان في استطاعة الحكماء ان يستقلوا بهذا الوضع فهل في استطاعتهم ان يحملوا الناس جميعاً على قبوله والعمل به بغير وازع الدين ؟ فان قيل ان الحكماء يضعون القوانين والحكام يلزمون الناس بالعمل بها نقول :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

والوازع الديني وازع نفسي لان مبدأ الدين من الالهامات الفطرية في نفوس البشر ، وأما وازع القوة فلا سلطان له إلاّ على الظواهر فتى أمن اهل البغي والتعدي من اطلاع الحاكمين يركبون ماشاء البغي ويجترحون ما احبت الشهوة من التعدي على الأموال والاعراض وراء الحجب والاستار وحيث لا تمتد أعين الشهداء ، ولا تصل معارف القضاة

والامراء ، ثم ان القضاة والحكام أنفسهم اذا كانوا على غير دين يتهكون الحرمات ، ويقترفون السيئات ، ويساعدون الجناة ، ويشاركون الجباة ،

والحاصل ان الانسان لا يستغني في حياته الاجتماعية عن حدود عادلة يقف افراده عندها في معاملهم ومعاشرتهم وان هذه الحدود لا تحترم ويوقف عندها الا اذا كانت على موافقتها للمصلحة العامة مضافة الى تلك السلطة الغيبية التي فطر الناس على الاعتقاد بها والخضوع لها وهذا عين حاجتهم الى الوحي لسعادة الدنيا . وقد تقدم المثال العملي في اثبات هذه النظرية في الدرس السابق .

(الشبهة الثالثة) لقائل ان يقول : ان أمم أوربا التي تحكم بالقوانين الوضعية هي أسعد من الامة الاسلامية وان الحكومات الاسلامية التي أخذت ببعض هذه القوانين كمصر والدولة العلية أحسن حالا ممن لم يأخذ بشيء منها كحكومة مراكش . والجواب يعرف مما كتبناه في الدرس الماضي من المقابلة بين المسلمين في نشأتهم الاولى وبين الاوربيين في نهايتهم مع انهم لم يمرقوا كلهم من الدين الذي بني على وجوب طاعة الحكام وقد صرحنا مراراً ان المسلمين صاروا حجة على دينهم بل قلنا في المقابلة المذكورة انهم حجة من لا دين له على كل دين .

(المسألة ٥٦) الحاجة الى الوحي لسعادة الآخرة — خلق الله للانسان حواس ومشاعر ووهبه عقلا وفكراً يهتدي بها الى مصالحه ومنافعه في الدنيا كما قال « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وعلمنا ان هذه المواهب لم تكن كافية له لسعادة الدنيوية لولا الدين فما بالك بحياته الأخرى الغيبية التي يقصر عن تناولها حسه ولا يحيط بشيء من كنهها عقله وانما يشعر

بها وجدانه شعوراً مجملاً مبهماً ؛ وقد بين استاذنا فى «رسالة التوحيد» هذا الشعور أحسن بيان ، واستنتج منه وجه الحاجة الى الوحي بأجلى برهان ، والافضل ان نقتبسه بلفظه ومعناه ، لئلا يضيع شيء من فحواه ، قال حفظه الله ، :

«اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين وفلاسفة الا قليلا لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء ، وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ فى اجساد البشر أو الحيوان على الدوام ومن ذاهب الى ان التناسخ ينتهي عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها ، او ما به شقوتها . ومنهم من رأي انها تتعلق بأجسام اثيرية ، ألطف من هذه الاجسام المرئية ، وكان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفى الوسائل التى تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما لا تكاد تحصى وجوهه .

« هذا الشعور العامّ بحياة بعد هذه الحياة المنبثّ فى جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن ان يكون ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو من الالهامات التى اختص بها هذا النوع . فكما ألهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وان شذ افراد منه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين

للارشاد فى عمل ما او الى انه لا يمكن للعقل ان يوقن باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول بل قالوا ان لا وجود للعالم الا فى اختراع الخيال وانهم شاكون حتى فى انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء فى صحة الإلهام العام المشعر لسائر افراد النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة واس البقاء الى الاجل المحدود — كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للانسان فى الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب من البدن ثم يكون حياً باقياً فى طور آخر وان لم يدرك كنهه . ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء، يُشعر كل نفس انها مستعدة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيقة الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عند غاية مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها اطراف المراتب وللنيات مرتفعة لآلام من العقوبات ونزعات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد . إلهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى ان واهب الوجود للأنواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء ولم يعهد فى تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح ان يكون بقاؤه قاصراً على ايام او سنين معدودات

« شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الأبدي وما عسى ان تكون عليه ، متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل ، وقد غاب المطلوب وأعوز الدليل ؛ ، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا فى تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا

الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار ، فى تقويم الانظار ، وتعديل الافكار ، واصلاح الوجدان ، وتثقيف الأذهان ، ولا نزال الى الآن من هم هذه الحياة الدنيا فى اضطراب لا ندرى متى نخلص منه ، وفى شوق الى طمأنينة لا نعلم متى ننتهى اليها ،

« هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وافكارنا فى العلم بما فى عالم الغيب . هل فيما بين ايدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب وهل فى طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له فى حياة يشعر بها وبان لا مندوحة عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤون التى لابد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه او الى معرفة بدء من يكون تصريف تلك الشؤن؟ . هل فى أساليب النظر ما يكشف لنا اليقين عما يطلب من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون المجهول لذاتك ، وتلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة اليك ، كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة الا فيك انت . فالنظر فى المعلومات الحاضرة ، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة ،

« أفليس من حكمة الصانع الحكيم ، الذى أقام امر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم ، الذى خلق الانسان ، وعلمه البيان ، علمه الكلام للتفاهم ، والكتاب للتراسل ، ان يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يعدها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو اعلم حيث يجعل رسالته يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه ، والامانة على مكنون سره ، مما لو انكشف

لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه ، او ذهبت بعقله جلالته وعظمه ، فيشرفون على الغيب باذنه ، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد ، وبداية الغائب ، فهم فى الدنيا كانهم ليسوا من اهلها ، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ، ثم يتلقون من امره ان يحدثوا عن جلاله وما خفى على العقول من شؤن حضرته الرفيعة بما يشاء ان يعتقده العباد فيه وماقدر ان يكون له مدخل فى سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من احوال الآخرة مالا بد لهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ، ولا يبعد عن متناول افهامهم ، وان يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعلمهم ما هو مناط سعادتهم وشقائهم فى ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاحق علمه باعماق ضمائرهم فى اجماله ، وتدخل فى ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقتناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين » ؟

« لاريب ان الذى احسن كل شىء خلقه ، وأبدع فى كل كائن صنعه ، وجاد على كل حى بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى اجاد صنعه واقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التى اختص بها غيره ان يتقذه من حيرته ويخلصه من التخبط فى اهم حياتيه ، والضلال فى افضل حاليه ،

« يقول قائل : ولم لم يودع فى الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ولم يضع

فيما الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية فى الحياة الآخرة وماهذا النحو من عجائب الرحمة فى الهداية والتعليم ؛ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانسانى ذلك النوع على ما به وما دخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كالهام الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيوانا آخر كالنحل والنمل اوملكا من الملائكة ليس من سكان هذه الارض» اه



العشق وحرية العرب

دخل يزيد بن معاوية على أبيه أيام حكمه مستأذناً بقتل ابى دهبل وهب بن زمعة الجمحيّ لانه أكثر التغزل فى اخته عاتكة واشتهر بعشقها وسارت بأشعاره الركبان وتغنّى بها الناس فقال معاوية وماذا قال ؟ فأنشده يزيد ابياتاً من قصيدة ابى دهبل النونية وهي :

طال ليلي وبتُّ كالمجنون وملّت الثّواء فى جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشيت التفرق جُمْل كبكاء القرين إثر القرين

وهي زهرآء مثل لؤلؤة الغوّ اص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها في سنآء من المكارم دون

فلما انشد هذا البيت وما قبله قال له معاوية في اثر كل واحد منهما هي كذلك يابني ولقد صدق. فلما انشد :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

قال معاوية : كذب في هذه يابني . وبعد البيت :

قبة من مراجل ضربوها عند برد الشتآء في قيطون

عن يساري اذا دخلت من البا ب وان كنت خارجاً عن يميني

ولقد قلت اذ تطاول سقمي وتقلبت ليلتي في فنون

ليت شعري أمن هوى طار نومي ام براني الباري قصير الجفون

وهذا البيت من الحان [illegible]

وعزم معاوية ان يكلم ابادهبل في الامر فتربص به حلمه حتى اذا كان في يوم جمعة دخل عليه الناس وفيهم ابو دهبل فقال معاوية لحاجبه اذا اراد ابو دهبل الخروج فامنعه واردده اليّ وجعل الناس يسلمون وينصرفون فقام ابو دهبل ينصرف فناداه معاوية : يا أبادهبل اليّ فلما دنا اليه اجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت ان في قريش اشعر منك حيث تقول : « ولقد قلت اذ تطاول سقمي » الى آخر البيتين — غير انك قلت : « وهي زهرآء » — البيت والذي بعده — والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها ابو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأيّ شيء زدت في قدرها ولقد أسأت في قولك : « ثم خاصرتها » — البيت فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لساني. فقال له معاوية : أما

من جهتي فلا خوف عليك لأني أعلم صيانة ابني نفسها واعرف ان فتيان الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب في كل من جاز ان يقولوه فيه وكل من لم يجز وإنما أكره للجوار يزيد واخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك . فحذر ابو دهبل وخرج الى مكة ويقال ان معاوية اراد ذلك لتنقضي المقالة عن ابنته

اما سبب عشق ابي دهبل لعاتكة فقد روي فيه انها لما حجت نزلت من مكة بذي طوى فبينما هي ذات يوم جالسة في وقت الهاجرة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق امرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها وعليها شفوف لها (ثياب رقيقة) تنظر الى الطريق فمر ابو دهبل فوقف طويلاً ينظر اليها ويتمتع بمحاسنها وهي غافلة عنه فلما فطنت له شتمته وامرت بإسدال الستر فقال

اني دعاني الحين فاقتادني   حتى رايت الظبي بالباب
يا حسنه اذا سبني مدبراً   مستتراً عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرة   صبت على القلب بأوصاب
يذود عني ان تطلبتها   ابٌ لها ليس بوهاب
احلها قصراً منيع الذرى   يحمى بأبواب وحجاب

ثم انشد ابو دهبل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وتناشدها الناس وغنى بها المغنون وسمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت واعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام فكان ينزل قريباً منها وكانت تتعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه في بيت الامارة والملك

ولم يعد يراها فمرض مرضاً طويلاً وانشد القصيدة النونية المذكورة آنفاً

ولما عاد الى مكة خوفاً من يزيد كان يكاتب عاتكة . وبينما معاوية ذات يوم في مجلسه اذ جاءه خصيّ له فقال يا امير المؤمنين لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب فلما قرأته بكت ثم اخذته فوضعته تحت مصلاها وما وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم فقال له اذهب فالطف بها حتى تحتال على اخذ الكتاب ففعل الخصيّ واتى بالكتاب واذا فيه :

أعاتك هلاً اذا بخلت فلا ترى	لذي صبوة زلفى اليك ولا يُرقى
رددت فؤاداً قد تولى به الهوى	وسكّنت عيناً لا تمل ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى	ولم ار يوماً منك جوداً ولا صدقاً
أتنسين أيامي بربعك مدنفاً	صريعاً بأرض الشام ذا جسد ملقى
وليس صديق يرتجى لوصية	وادعو لدائي بالشراب فما اسقى
واكبر همي ان ارى لك مرسلا	فطول نهاري جالس ارقب الطرقا
فوا كبدي اذ ليس لي منك مجلس	فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة	ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

فلما قرأه معاوية بعث الى ابنه يزيد فأتى ووجده مطرقاً فقال له ما هذا الأمر ؟ فقال امرٌ اقلقني وامضني وما ادري ما اعمل في شأنه قال وما هو ؟ قال هذا الفاسق ابو دهبل كتب بهذه الأبيات الى اختك عاتكة فلم تزل باكية فما ترى فيه ؟ قال الامر هين عبد من عبيدك يكمن له في ازقة مكة فيريحنا منه . فقال معاوية : أفٍّ لك والله ان تقتل رجلاً من قريش هذا حاله صدق الناس قوله وجعلونا احدوثة ابداً . فقال يزيد يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها اهل مكة وسارت حتى

بلغتني واوجعتني وحملتني على ما اشرت به فقال ما هي فانشد

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل … وما كان من يلحى محباً له عقل
لقد كان فى حولين حالا ولم ازر … هواي وان خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها … فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله … ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فوا كبدى انى اشتهرت بحبها … ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجباً انى اكاتم حبها … وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية : قد والله رفهت عنى لانى اوى انه يشكو عدم الوصل فالخطب فيه يسير قم عنى . فقام يزيد وحج معاوية فى تلك السنة ولما انقضت ايام الحج كتاب [illegible] وكتب فيهم اسم ابى دهبل ثم دعا بهم ففرق الصلات اجزلها فلما قبض ابو دهبل صلته وقام ينصرف دعا به معاوية فرجع اليه فقال له يا ابا دهبل مالى رأيت يزيد ساخطاً عليك فى قواريض تأتيه عنك وشعر لا تزال تنطق به وانفذته الى اخصامنا وموالينا فطفق ابو دهبل يعتذر ويحلف انه مكذوب عليه فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا فهل تأهلت قال لا . قال فأى بنات عمك احب اليك قال فلانة قال زوجتكها واصدقتها التي دينار وامرت لك بألف دينار اخرى . فلما قبضها قال : ان رأى امير المؤمنين ان يعفو لى عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى فقد ابحت به دمي وفلانة التى زوجتنيها طالق البتة فسر معاوية بذلك وضمن له رضى يزيد عنه ووعده بادرار ماوصله به فى كل سنة وانصرف الى دمشق . قالوا ولم يحج معاوية فى تلك السنة الا لاجل ذلك

(المنار) فى القصة فوائد لمن يتأمل ويستفيد (منها) حرية العرب وتساهلهم فى العشق وغيره مع اولادهم وغير اولادهم وفى لوازمه ما لم ينتهك العرض وتمس العفة وتبتذل الصيانة (على ان العشق والعفة لا ينفكان فى قرن كما سنبينه) الم تر الى معاوية كيف اجاب يزيد حين قال له ان ابا دهبل يقول فى ابنتك

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ اص ميزت من جوهر مكنون

بقوله : لقد صدق يا بنى انها لكذلك ثم لما قال له انه قال « ثم خاصرتها » البيت قال لقد كذب . الم تر انه لم يعاتب ابنته ولم ينصحها لانه يعلم ان العشق طور من اطوار النفس يغري به العذل والتثريب ، ولا ينجع فيه الوعظ والتأديب . ألم تر انه قال لابي دهبل « أما من جهتي فلا خوف عليك لانى اعلم صيانة ابنتي نفسها واعرف ان قبيل الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب » الخ

(ومنها) الطريقة المثلى فى تربية الفتيان والفتيات فى طور العشق والحب . اذا علم الجاهل الاخرق ان ولده عشق وساءه ذلك وخشي مغبته يبادر الى اطفاء لوعته باللوم والتعنيف ، والعذل والتوبيخ ، وذم المحبوب ، وانتحال المثالب والعيوب ، وماهذا اللوم الاعين الاغراء ، وماذلك الاطفاء الا إضرام وإذكاء ،

كالذى طأطأ الشهاب ليطفى وهو أدنى له الى التضريم

والعليم الحليم يبادر الى قطع الصلات ، وابطال المعاملات ، بخفيّ العمل ، ولطائف الحيل ، كما فعل معاوية فى اخراج أبي دهبل من الشام أولاً ثم فى تزويجه واكرامه بحيث ألجأه الى ان يعطى العهد من نفسه على ترك التشبيب

بعاتكة ويؤكد ذلك بإبانة زوجه وإباحة دمه من غير ان تعلم عاتكة بذلك

(ومنها) الفرق بين حلم معاويه وسفه يزيد وميله الى الظلم وسفك الدم وكيف صده ابوه عن اغتيال ابى دهبل بقوله ان فى ذلك اثباتاً للتهمة واشهاراً بالفضيحة ولم يأنه من قبل الدين وحرمة الدمآء المعصومة. والظاهر انه كان يعلم ان ما قاله له هو الذى يؤثر فيه

(ومنها) الحرية العامة . عند العرب يومئذ فقد كانوا يتغنون بشعر يشبب فيه ببنت أمير المؤمنين من غير مؤاخذة ولا نكير ولا توقع مؤاخذة ولا خوف عقوبة

ومن وجوه الاعتبار الفرق بين عظمة الملوك وتجبرهم اليوم وبساطتهم يومئذ

العشق والعفة

العشق كما قلنا حليف العفة وقرينها وحب الفساد المقلوب لا يسمى عشقاً . وقد كان ابو دهبل عفيفاً نزيها وعاتكة أعف وانزه . روى انه خرج يريد الغزو فلما كان بجيرون جاءته امرأة فاعطته كتاباً فقالت له اقرأ لى هذا الكتاب فقرأه لها ثم ذهبت فدخلت قصراً ثم خرجت اليه فقالت لو تبلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجر ان شاء الله فانه من غائب لها يعنيها امره فبلغ معها القصر فلما دخلا اذا فيه جوار كثيرة فأغلقن عليه القصر واذا فيه امرأة وضيئة فراودته عن نفسه فأبى فأمرت به فحبس فى بيت من القصر وكان يطعم ويسقى قليلا حتى ضعف وكاد يموت ثم دعته الى نفسها فقال لايكون ذلك ابداً ولكنى اتزوجك

قالت ثم فتزوجها فأمرت به فأحسن اليه حتى رجعت اليه نفسه فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعه يخرج حتى يئس منه اهله وولده وتزوج بنوه وبناته وتقاسموا ماله واقامت زوجه تبكي عليه حتى عمشت ولم تقاسمهم ماله . ثم انه قال لامرأته الجديدة انك قد اثمت فيّ وفي ولدي واهلي فأذني لي اطالعهم وأعود اليك فأخذت عليه ايماناً ان لا يقيم الاسنة حتى يعود اليها فخرج من عندها بمال كثير حتى قدم على اهله فرأى حال زوجه وما صار اليه ولده . وجاء اليه ولده فقال والله ما بيني وبينكم عمل انتم قد ورثتموني وانا حيٌّ فهو حظكم والله لا يشرك زوجي فيما قدمت به احد . ثم قال لها شأنك به فهو لك كله ولما دنا الاجل واراد الخروج الى الجديدة جاءه خبر موتها فأقام

ومن حديث العفة واخبار ابي دهبل انه كان يهوى امرأة جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر وكان ابو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها وكانت هي ايضاً محبة له وكانت توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه فضمن لها ذلك واتصل الوداد بينهما فوقفت عليه زوجه وكانت غيوراً عليه فدست الى عمرة امرأة داهية من عجائز قومها فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عرض حديثها : اني لاعجب لك كيف لا تتزوجين بأبي دهبل مع ما بينكما . قالت : وأيّ شيء يكون بيني وبين ابي دهبل ; فتضاحكت وقالت : اتسترين عني شيئاً قد تحدثت به أشراف قريش في مجالسها وسوقة اهل الحجاز في اسواقها والسقاة في مواردها فما يتدافع اثنان انه يهواك وتهوينه . فوثبت عمرة عن مجلسها واحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير اليها . وجاء ابو دهبل

على عادته لحجبته وارسلت اليه بما كره فقال فى ذلك شعراً كثيراً منه

يلوموني فى غير ذنب جنيته — وغيري فى الذنب الذى كان ألوم
أمنّا اناساً كنت تأتمنينهم — فزادوا علينا فى الحديث واوهموا
وقالوا لنا ما لم نقل ثم كثروا — علينا وباحوا بالذي كنت اكتم

ومنها البيت التى يتمثل به وهو

أليس عجيباً ان تكون ببلدة — كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم

ويروي « أليس عظيماً » ومن شعره اللطيف فى ذلك

تطاول هـذا الليل ما يتبلج — واعيت غواشي عبرتي ما تفرّج
وبتّ كئيباً ما انام كأنما — خلال ضلوعى جمرة تتوهج
فطوراً امنّي النفس من عمرة المنى — وطوراً اذا ما لج بى العشق انشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا — ونحن الى ان يوصل الحبل احوج
الخطط فى ظهر الحصير كأنني — اسير يخاف القتل ولهان مفلج

فانظر كيف ان عمرة ما كانت ترى مجلسها معه ومع الادباء لامساً للعفة، ولا ماساً بالصيانة، حتى علمت ان الناس يتحدثون بان الامر خرج عن المعتاد، ويرون ان لها شأناً مع بعض الافراد، فضربت دون زوارها الحجاب، ومنعت الهوى ان يدخل عليها من الطاق او الباب، وكان بنوجمح يزعمون ان ابا دهبل تزوج بعمرة ويزعم غيرهم انه لم يصل اليها ولم يُزنّ هو ولا هى بكلمة قبيحة

كان ابو دهبل من سادات بنى جمح واشرافهم وكان جميلا ظريفاً وشاعراً عفيفاً. وكان يحمل الحمالات ويعطى الفقراء ويقري الضيوف ومات فى سنة ثلاث وستين

الهدايا والتقاريظ

(المرأة فى الاسلام) مجلة علمية تهذيبية تبحث فى ترقية شأن المرأة فى الاسلام صدرت فى اوائل شهر ذى الحجة الماضى لمنشئها الفاضل ابراهيم بك رمزى وهى تصدر فى الشهر مرتين فى ١٦ صفحة كبيرة وقيمة الاشتراك ٣٠ قرشاً تدفع سلفاً . وقد بين فى العدد الاول منها المباحث الكلية التى وضعت المجلة لها وهى (١) المرأة واستعدادها وحقوقها الشرعية ومكانتها البيتية والاجتماعية . (٢) تدبير المنزل والتربية . و (٣) الاخلاق والعادات و (٤) سير شهيرات النساء . و (٥) اخبار النساء . و (٦) «العائلة وتكوينها وحقوق وواجبات افرادها من زوج وزوجة وآباء وابناء » فنسأل الله تعالى ان يوفقه للصواب فيما يكتب وينشره

ولا شك ان هذه الحركة المحمودة والاهتمام بشأن النساء هو اثر من آثار الصيحة الشديدة والصاخة القوية التى صدرت من حضرة الفاضل قاسم بك امين . ولو انه خاطب الناس بما يعرفون ويألفون لما احدث اثراً ولا حرك قلماً ولا فكراً وحركة الفكر تتقدم العمل دائماً وهو الذى يظهر للناس النافع والضار وبه تتم السعادة . ويبلغ الانسان مراده

(مجلة المجلات العربية) صدر العدد الاول من مجلة بهذا الاسم شهرية علمية صناعية ادبية سياسية ذات ٢٤ صفحة لصاحبها الهمام محمود بك نسيب وقيمة الاشتراك فيها سبعون غرشاً اميرياً فى السنة . وقد صدر منها العدد الاول مزيناً برسم سمو الخديو المعظم . وفى الاخبار السياسية رسم ولىّ عهد مملكة الانكليز وذكر الاحتفال به فى بورسعيد . وفى باب اشهر الحوادث واعظم الرجال رسم يوسف فردى الموسيقى الايطالى الشهير الذى

مات من عهد قريب وترجمته . الى غير ذلك من الفوائد والاخبار العلمية والتاريخية . فنرحب بهذه الرفيقة الجديدة ايضاً ونسأل الله لها التوفيق والانتشار .

الاخبار التاريخية

﴿ حديث مع شيخ الازهر والجمعيات الدينية فى فرنسا ﴾

اتفق لى انى عندما زرت فى العيد صاحب الفضيلة الاستاذ شيخ الجامع الازهر المعظم حدثته بالجمعيات الدينية الاوربية لاسيما الفرنسوية كالجزويت والفرير وذكرت له لولا ما كان من مساعدة رجال الدين المسيحي للعلم فى العصور التي يسمونها المظلمة وكيف انقلب الحال بعد ما ظفر رجال العلم وسلبت السلطة السياسية من البابا فصارت أزمة العلوم بأيدي الجمعيات الدينية حتى ان الجزويت الذين هم أشد الفرق تعصباً للدين هم الذين غيروا نظام التعليم فى اوربا فارتقى بسعيهم الى الدرجة التي هو فيها . وذكرت لفضيلته ثروة جمعية الجزويت ومسالكها فى التعليم الدينى والدنيوى وان غايتها هى وامثالها ارجاع السلطة السياسية لرجال الدين كما كانت وانها تعلم كما يعلم كل بصير بأحوال الكون انه لا يمكن ان يكون مثل هذا الانقلاب الا بالعلوم العصرية والثروة المالية التي هى حليفة العلم . وانتقلت من هذا الى بيان كون الديانة المسيحية ليست ديانة سلطة بخلاف الديانة الاسلامية التي يجب فيها ان يكون الخليفة فمن دونه من الحكام عالمين بالدين — فى كلام

طويل نتيجته ان حفظ الدين الاسلامي وحفظ كرامة اهله واعادة سلطته يحتاج فيه الى العلوم الكونية والجمعيات المالية وان هذا ما يدعو اليه المنار

لم تمض على حديثنا ايام حتى جاءتنا البرقيات ثم الجرائد تخبر معارضة الحكومة الترنسوية لجمعيات الدينية ورجال الدين عامة واتهامها اياهم بالسياسة وعداوة الحكومة الجمهورية والسعي التمهيدي فى نكث فتلها وحل عراها. وقد اقترحت الحكومة على مجلس البرلمان ان يصدق على قانون قدمته له ملخصه على ما فى رسالة فى المؤيد الاغر

انه يجب على كل جمعية دينية أن تعرض قانونها على الحكومة وتأخذ منها اجازة رسمية والا فانها تحل وتبطل. وانه لا يجوز لاعضاء الجمعيات التى تحل ان يزاولوا صناعة التعليم مطلقا ولو فى مدارس الجمعيات المأذونة. وان الحكومة تستولي على ممتلكات الجمعية المنحلة من عقار ونحوه وتبيعه وتنشئ بثمنه صندوق اعانة لعملة الشيوخ والمتقاعدين. وقد قدرت الحكومة قيمة ما للجمعيات غير المأذونة من ذلك بمليار فرنك (الف مليون فرنك) فهاج ذلك الاشتراكيين وطفقوا يقولون ان من الجناية على الامة ان تحتكر صنف من الناس هذا المال الكثير ويكنزه ويحول بين الناس وبين استثماره والانتفاع به * وقد صدق المجلس على هذا القانون بعد مناقشات اثبت فيها الموافقون للمعارضين (وهم الاقل) أن الرهبان يعلمون الشعب فى مدارسهم وكنائسهم ان الحكومة الجمهورية حكومة فساد واختلاس وقرارة اقذار وانه يجب تقويض اساسها. ومن الشواهد التى اوردها الباحثون على ذلك ان الموسيو لايك اظهر ان الكتب التى يتعلم بها تلامذة المدارس الدينية تحرف الكلم عما تقلب به الحقائق ليوافق مشربها. ومنها

ان المسيو برجو لما كان رئيساً للجنة جوائز تلامذة المدارس فى المعرض ارادوا منح الجائزة الكبرى لاكثر التلامذة مهارة فوجدوا ان الذين يستحقونها هم تلامذة مدارس الفرير ولكنهم وجدوا فى كتاباتهم دلائل كثيرة على بغضهم للحكومة الجمهوريه ونظاماتها واعتبارهم من يخالفهم فى المذهب من سائر الناس اعداء لهم فلذلك حرم من هذه الجائزة تلامذتهم فى اوربا واعطيت لتلامذتهم فى الشرق لانه لم يوجد فى كتاباتهم مثل ذلك ومنها انهم يعلمون النساء فى اوقات الاعتراف تعليماً خلابياً ذاب كالكذب على الزوج لاخفاء ما يأتينه من البهتان بين ايديهن وارجلهن كأن تقول المرأة لزوجها « مازنيت » وتنوى فى [illegible] للقول مثل «لأقول لك» وتقول « ما سرقت » وتنوى [illegible] او نحو ذلك . الى غير ذلك من الشواهد .

وقد تقرر الآن ان تعليم جميع الجمعيات الدينية لا بد ان يكون تحت مراقبة الحكومة ولاشك ان خوف الحكومة فى محله وان هذه الجمعيات تنوى الانقلاب الذى حذرته الحكومة وهى سائرة اليه من طريقته المثلى وهى طريقة التربية والتعليم . فليعتبر رجال الشرق عامة وعلماء المسلمين خاصة الذين فقدوا كل شىء وما بقى عندهم الا حثالة ما الف من قبلهم من الكتب يتلهون او يتعيشون بالبحث فى اساليبها وترديد الفاظها ولا يخطر على بالهم السعى فى دوامها وحفظ كرامة اهلها فضلا عن السعى بالارتقاء واعادة احكام الدين ومجده السالف ومن بايهم على ذلك يتخذونه عدواً ويعضون لحمه بالغيبة ويسلطون عليه عقارب السعاية وانما يحثون عن حتفهم بظلفهم فحسبنا الله ونعم الوكيل

(العام الجديد) هذا اليوم فاتحة سنة تسع عشرة وثلثمائة والف للهجرة الشريفة نسأله تعالى ان يجعله عام اصلاح وفلاح للأمة ويمن، أهله بكشف الغمة .

(الاعياد والمواسم) كان الشهر المنصرم شهر اعياد ومواسم لجميع الملل - عيد الاضحى الكبير للمسلمين وعيد الفصح الكبير للنصارى وعيد الفطر لليهود وموسم شم النسيم المشترك بين جميع الطوائف والملل من سكان القطر المصري نسأله تعالى ان يديم النعمة والسرور على الجميع فى ظل الحضرة الخديوية الفائق

(تركيا الفتاة) أكثرت الجرائد فى هذه الايام من الكلام فى الحزب الذى يسمونه تركيا الفتاة فاعلاها مكانة يطعن فيه وبعضها يدافع عنه . والصواب ان هذا الحزب ليس له شأن فى نظام الا شمول مولانا السلطان عنه واهتمامه بشأنه فان أهمله اهمل واغفل وما دام يبالى به ويعزبه أمره فشأنه كبير لا تؤثر فيه الجرائد ولا يزعزعه الكلام وانما تأثير الجرائد فى الفايتين فالمدح والقدح عاملان متساويان فى التأثير هناك بل ربما كان القدح والذم أشد تأثيراً فى الاهتمام به

أما صاحب الدولة محمود باشا داماد ونجلاه الاميران النجيبان فليسا من حزب تركيا الفتاة ولكن لهم شأن مخصوص بهم

وقد انتقدنا على جريدة مصباح الشرق الغراء بعض ما كتبته فى اسباب الحرب الروسية العثمانية والقانون الاساسي من الوجه التاريخي وسننشر ذلك فى العدد الآتى ان شاء الله تعالى